

من

تَراب (١٧٨) قراءة القرآن (*)

الطريق!

قراءة القرآن الكريم قراءة متأنية مثابرة آية آية أو جملة جملة مع الاجتهاد فى تصور الجوّ والظروف والحالة بالنسبة للأشخاص عندما كانت الملة فى بدايتها دعوة وليدة تلتمس من يصدقها وينضم إليها ويؤيدها، ويقاوم الواقع الغامر السائد الذى يعاديهما لأنها تحاول تغييره وتشدّد عداوته لها ومحاربتة إياها كلما زاد عدد المصدقين والمنضمين والمؤيدين !

هذه القراءة للقرآن الحكيم - شىء يختلف اختلافاً كلياً عن القراءة المقصود بها التعبد أو المقصود بها التفقه أو المقصود بها التفتن لما فيه من البلاغة والفصاحة المعجزة غير العادية مع الحكمة والعمق . فهذه كلها تجريدات جزئية واشتقاقات فرعية لا ترى الواقع الأول للقرآن إلا من بعيد .. رؤية جزئية جداً تخفى حجم وحقيقة واقعه الأول، أى حقيقة وماهية حياة الدعوة على مدى ثلاثة وعشرين عاماً .

هذه القراءة المصحوبة بتصور الجوّ والظروف والحالة بالنسبة للأشخاص - عند كل آية أى عند كل جملة - تحمل " شحنة " مصدرها الجوّ والظروف والحالة - هذه القراءة هى وحدها التى تعطى القارئ حجم وحقيقة واقع القرآن - إلى تاريخ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وهى قراءة ممكنة لكل من لديه قدر كافٍ من المعرفة بتاريخ الدعوة والبيئة العربية التى ولدت وانتشرت فيها، والنبي نفسه - عليه السلام - لم يأمر بتدوين إلا القرآن، ولم يدون أحد أحداث الدعوة تبعاً فى أوقات

(*) المال ٢٠٠٨/١٢/١٨

حدوثها، ولم يُبدأ في تدوين السيرة إلا بعد عشرات السنين من وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأكد وأوثق مصدر للعلم بأحداث السيرة هو نفس أو نص سور القرآن وآياته . فما عدا ذلك من أخبار قد كتب بعد أمد طويل من مصادر شتى، بينما متن القرآن المجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

شئ من هذه الغاية قصدته في مطول : " السيرة النبوية في رحاب التنزيل " .. صدرت من هذا المطول خمسة مجلدات، ولا يزال السادس والأخير في ذمتي داعياً الله تعالى أن يمكنني من إتمامه . في رحاب التنزيل جدلت أحداث السيرة النبوية موصولة بنزول آيات القرآن المجيد وما صاحب هذا التنزيل من جو وظروف لم أشأ أن أسميها " أسباب النزول "، وإنما تتبعت فقط مناسباتها، بأدلا قصارى مستطاعى لاستحضار صور الأحداث كما جرت في زمانها، بلسان وعبارات أصحابها، مقرونة بما كان ينزل تبعاً من آيات الذكر الحكيم على صفى السماء المبعوث رحمة للعالمين . عنيت فيها قصداً أن تتوارى ذاتي، وأن أتترك المشاهد تتحدث بنفسها وتقدم للمتلقى مكنونها ومعالمها ونبضها .. رامياً أن أتيح له أن يتسم عبق السيرة وجوّ ونفحات التنزيل، وأن يعايش زمانها ويستروح أنفاسه، ليرى كيف انساب المدد الإلهي برسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم ليهدى البشرية من ظلام الكفر والشرك إلى نور اليقين .